

أَفَاتُ اللِّسَانِ

(١١)

مُتَفَرِّقَاتُ

- (١) تكفير المسلمين بغير حجة ولا برهان
- (٢) الأذى
- (٣) اللغو
- (٤) البهتان
- (٥) الحلف الكاذب والمن بالعطية
- (٦) التناجش
- (٧) عدم الوفاء بالوعد
- (٨) الخوض في الباطل
- (٩) التشديق في الكلام
- (١٠) النياحة على الميت
- (١١) الأمر بالمعروف وعدم الإتيان به، والنهي عن المنكر والإتيان به
- (١٢) تصدر المجلس بالحديث وهناك من هو أسن وأعرف منه
- (١٣) مقاطعة المتحدث
- (١٤) ترويج الشائعات

للشيخ / ندا أبو أحمد



(متفرقات)

ملهَيْدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ رَأْسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضَلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ٧٠ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(1) تكفير المسلمين بغير حجة ولا برهان

وهذه من الطّامات والمخالفات التي انتشرت في الآونة الأخيرة

ومن المعلوم أن تكفير أحد المسلمين من غير حجة ولا برهان أمر في غاية الخطورة، وتكمن خطورته في قول النبي ﷺ: **"مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ (١)؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا (٢) أَحَدَهُمَا" - وفي رواية: "فإن كان كما قال، وإلا حارت عليه (٣)"**
(رواه البخاري ومسلم)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه"

- وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي نر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"... وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ (٤) وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ."

- وفي رواية عند البخاري:

"لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك"

فالنبي ﷺ أخبر في الأحاديث السابقة أن الذي يصف أخاه المسلم بالكفر فقد ارتكب ذنباً عظيماً إن لم يكن أخاه كذلك، لماذا؟ لأن الذي يرمي أخاه بالكفر، فإنه يرميه بالإلحاد والزندقة، والمروق من الدين، الخارج عن حدود الإسلام، فإن كان صادقاً فيما يقول فلا إثم عليه، وإن كذب في قوله لأخيه: "يا كافر"، فقد عصى الله ورجعت هذه الكلمة عليه؛ لأنه وصفه بما ليس فيه، فكأنه افترى عليه بما لا يليق به فاستحق هذا الذم.

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

"ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، ولئيباً مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك؛ إلا حار عليه"

(١) مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: "يَا كَافِرٌ": أي رماه بالكفر، ونسبه إلى المروق، والإلحاد، والزندقة.

(٢) بَاءَ بِهَا: أي رجع بالإلحاد والزندقة والمروق من الدين.

(٣) حارت عليه: أي رجعت عليه.

(٤) أَوْ قَالَ: "عَدُوَّ اللَّهِ": أي المحارب لله، التارك لأوامره.

قال النووي رحمه الله في "شرحہ علی مسلم" (١/٩٤) **مُعلِّقًا على الحديث:**

"هذا الحديث ممًا عدّه بعض العلماء من المشكلات، من حديث أن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي: كالقتل، والزنا، وكذا قوله لأخيه: "يا كافر"، من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرنا، **فقل في تأويل الحديث أوجه:**

أحدهما: أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر، وعلى هذا معنى: **"باء بها"** - أي بكلمة الكفر - وكذا: **"حار عليه"**، وهو معنى رجعت عليه - أي كلمة الكفر - فباء، وحار، ورجع، بمعنى واحد.

الوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه، ومعصية تكفيره.

الوجه الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا نقله القاضي عياض عن الإمام مالك رحمه الله، وهو ضعيف؛ لأن المذهب المختار الذي اختاره المحققون، أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

الوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر؛ وذلك أن المعاصي كما قالوا: "بريد الكفر"، ويخاف على المكثّر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الوجه الخامس: فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير؛ لكونه جعل أخاه المسلم كافرًا، فكأنما كفر نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، والله أعلم.

- وأما قوله **فيمن ادعى لغير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه كفر**. ففيه تأويلان:

التأويل الأول: أنه في حق المستحل. **التأويل الثاني:** أنه كفر النعمة والإحسان، وحق الله تعالى،

وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج من ملة الإسلام، وهذا كما قال رحمه الله للنساء: **"تكفرن"** ثم فسره بكفرانهن الإحسان، وكفران العشير". اهـ

(٢) الأذى

معنى الأذى: يقال: "آذيت فلاناً، أؤذيه: أي ألحقتُ به ما يكره من قول أو فعل".

• وجاءت كلمة الأذى في القرآن الكريم ولها معاني كثيرة ومن معانيها:-

أ - الشتم والسب:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُوهُمَا ﴾ [النساء: ١٦٦]

وقوله تعالى: ﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَى ﴾ [آل عمران: ١١١]

وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمْنَا مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

ب - الزور والبهتان على البريء

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

[الأحزاب: ٦٩]

ج - المن عند العطية:

ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٢٦٢ ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ ٢٦٣ ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى . . . ﴾ [البقرة: ٢٦٢ - ٢٦٤]

د - غيبة المؤمنين:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾

[الأحزاب: ٥٨]

• الأحاديث الواردة في ذم الأذى، وفي ذم من يؤدي بالأقوال والأفعال

- أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما"

وقال سفيان في حديثه: "لا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه": هذا حديث حسن صحيح.

- وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يتناجى اثنان دون واحد، فإن ذلك يؤدي المؤمن،

والله ﷻ يكره أذى المؤمن"

(الصحيحة: ٢٨٢٥)

- وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إياكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر."

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلّي [عليه] الملائكة مادام في مجلسه الذي يصلّي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ فيه."

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"

- وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من لعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أحب أن أقتله؟ قال: نعم... الحديث"

- وأخرج النسائي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

"أن رجلاً وقع في آبٍ كان له في الجاهلية، فلطمه العباسُ، فجاء قومه، فقالوا: لِيَلْطَمَنَّهُ كما لطمه، فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فصعد المنبر، فقال: أيها الناس، أيُّ أهل الأرض تعلمون أكرم على الله ﷻ؟ فقالوا: أنت، فقال: إن العباس مَنِّي وأنا منه، لا تَسُبُّوا موتانا فتؤذوا أحياءنا"، فجاء القوم، فقالوا: يا رسول الله، نعوذ بالله من غضبك، استغفر لنا"

(قال محقق جامع الأصول: ٢٧٢/١٠: إسناده حسن)

- وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: "إن بني هشام بن المغيرة استأذنونني أن يَنكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحبَّ ابنُ أبي طالب أن يُطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة^(١) مَنِّي يريبنِّي ما رابها^(٢) ويؤذيني ما آذاها".

- وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال:

"صعد رسول الله ﷺ على المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تُغيروهم، ولا تتبَّعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم؛ تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله".

- وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه يقول: "الناس رجلان: مؤمن فلا تؤذوه، وجاهل فلا تجأهله"

(آداب العشرة: ١٥)

- ويقول ابن رجب رضي الله عنه كما في "جامع العلوم والحكم" (ص ٢٩٤):

"تضمَّنت النصوص أن المسلم لا يحل إيصال الأذى إليه بوجه من الوجوه من قول أو فعل بغير حق".

- ويقول يحيى بن معاذ رضي الله عنه الرازي:

"ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه"

(جامع العلوم والحكم: ص ٢٩٤)

(١) بضعة: بفتح الباء. لا يجوز غيره، وهي قطعة اللحم.

(٢) يريبنِّي ما رابها: الريب ما رابك من شيء خفت عقباه، وقال أبو زيد: "رابني الأمر: تيقنت منه الريبة، وأرابني: شككتني وأوهمني.

(٣) اللغو

اللغو له معانٍ كثيرة منها:

أ- سبق اللسان من غير عقد القلب ولا عزمه على ما يقول، ومنه قول عائشة رضي الله عنها:

"إن اللغو ما يجري في الكلام على غير عقد"

- وقال المناوي رحمته الله: "اللغو: ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عزم قصد إليه"

(التوقف على مهمات التعريف: ٢٩٠)

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]

وقال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ

أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا

أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]

- قال الشافعي رحمته الله عن اللغو في الأيمان:

(التعريفات: ٢٠٢)

"هو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقوله: لا والله، بلى والله"

- وقال المناوي رحمته الله: "اللغو في الأيمان: ما لا يعقد عليه القلب، وذلك ما يجري وصلاً للكلام

(التوقف: ٢٩٠)

بضرب من العادة كقولهم: "كلا والله"

ب - واللغو يأتي ويقصد به الكلام، وقيل: "يأتي بمعنى خاب"

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ؛ فَقَدْ لَغَوْتَ"^(١)

(رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)

- وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبِ امْرَأَتِهِ - إِنْ كَانَ لَهَا -، وَلَبَسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ،

ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ؛ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى

رِقَابَ النَّاسِ؛ كَانَتْ لَهُ طَهْرًا"

(١) لغوت: أي تكلمت، وقيل: فقد خبت.

- وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"يحضر الجمعة ثلاثة نفر: رجل حضرها يلغو وهو حظّه منها، ورجل حضرها يدعو فهو رجل دعا الله صلى الله عليه وسلم إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصاتٍ وسكوتٍ، ولم يتخطَ رقبة مسلم، ولم يؤذِ أحداً؛ فهي كفارةٌ إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك بأن الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا" واللغو من مسّ الحصى ينزل منزلة الكلام، وقيل المقصود به: "عدل عن الصواب، أو خاب".

ج - ويأتي اللغو ويقصد به مجالس اللغو والباطل:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥١ - ٥٥]

- وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[المؤمنون: ١ - ٣]

(قاله الكفوى رضي الله عنه)

د - ويأتي اللغو ويقصد به كل مطروح من الكلام لا يعتد به

ومنه قول عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه حيث قال:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر، ويقلُّ اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصرُ الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة"

(أخرجه النسائي بسند صحيح)

هـ - ويأتي اللغو ويقصد به الفحش من القول، وهو بيت القصيد:

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ ﴿ ٥٩ ﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ﴿ ٦٠ ﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ ٦٢ ﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٣]

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ حُدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ وَكَأْسًا

دِهَاقًا ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ جِزَاءَ مَنْ رَزَقَهُ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبا: ٣١ - ٣٦]

- وقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ ﴿ ٨ ﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاعِيَةً ﴾

[الغاشية: ٨ - ١١]

- ومنه قول قيس بن أبي غرزة رضي الله عنه قال: أتانا النبي ﷺ ونحن في السوق فقال:

"إن هذه السوق يُخالطها اللغو والكذب فشوبوها بالصدقة"

(أخرجه النسائي بسند صحيح)

- ومنه قول ابن عباس رضي الله عنه قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر؛ طهرةً لللصائم من اللغو

والرفث، وطعمةً للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد

الصلاة فهي صدقة من الصدقات"

(أخرجه البخاري)

(٤) البهتان (١)

• **تعريف البهتان:** "هو الكذب والافتراء الباطل الذي يتحير منه".

وقال المناوي رحمه الله: "البهتان: كذبٌ يبهتُ سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته، وسُمِّيَ بذلك لأنه يبهتُ: أي يُسكِتُ لتخيلِ صحته، ثم ينكشف عند التأمل.

وقال الكفوي رحمه الله: "البهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه أي يدهش له ويتحير، وهو أفحش من الكذب، وإذا كان بحضرة المقول فيه كان افتراءً.

وقيل: "كلُّ ما يبهتُ له الإنسان من ذنب وغيره".

(النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/١٦٥)، (الكليات للكفوي: ص ١٥٤)، و(التوقيف للمناوي: ص ٨٤)

• حكم البهتان

عَدَّ ابن حجر الهيثمي رحمه الله البهتان من كبائر الذنوب، وذكر أنه أشدُّ من الغيبة؛ إذ هو كذبٌ فيشقُّ على كلِّ أحد، بخلاف الغيبة التي لا يشقُّ على بعض العقلاء؛ لأنها فيه، **وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد:** "خمس ليست لهن كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن، والفرار يوم الزحف، ويمين صابرة (أي كاذبة) يقتطع بها مالاً بغير حق" **ولما رواه الطبراني:** "من ذكر امرأً بشيءٍ ليعيبه به؛ حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه"

ووجه من عدَّ البهت من الكبائر مع عدّه الكذب كبيرة أخرى، أن هذا كذبٌ خاصٌّ فيه هذا الوعيد الشديد، فلهذا أُفردَ بالذكر. اهـ بتصرف

(الزواجر: ص ٣٥٧)

(المستطرف: ١/٣٥٧)

- **وكان يقال:** "رأس المآثم الكذب، وعموم الكذب البهتان"

• معاني البهتان في القرآن الكريم

ومن معاني البهتان التي وردت في القرآن الكريم ما يلي:

أولاً: الزنا

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الممتحنة: ١٢]

وأخرج البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه"، فبايعناه على ذلك"

ثانياً: الحرام

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠ - ٢١]

ثالثاً: الكذب الفاحش، وهو بيت القصيد، والمعني من الكلام

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسَنَتِكُمْ وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَكَوَلَّوْا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤ - ١٦]

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]:

"أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله، أي ما ينبغي لنا أن ننقوه بهذا الكلام". اهـ بتصريف

(تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٣)

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: "ما تشيرون عليّ في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم من سوءٍ قط" وعن عروة قال: "لما أُخبرت عائشة بالأمر قالت: يا رسول الله أتأذن لي أن أنطلق إلى أهلي؟ فأذن لها وأرسل معها الغلام وقال رجلٌ من الأنصار: سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم"

. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥) ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٦]

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]:

"عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعنى أنهم رموها بالزنا، ورموها وابنها بالعظائم...؛ فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة". اهـ بتصرف (تفسير ابن كثير: ١/٥٧٣)

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّبِينًا﴾ (٥٧) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨]

قال ابن كثير رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: ٥٨]:

أي ينسبون إليهم ما هم براءٌ منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ وهذا هو البهتُ الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات على سبيل العيب والتقصُّص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله ﷻ قد أخبر أنه قد رَضِيَ عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبُّونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة مُنكِّسو القلوب، يذمُّون الممدوحين، ويمدحون المذمومين" (تفسير ابن كثير: ٣/٥١٧)

- وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "بلغ عبد الله بن سلام مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فأتاه فقال: "إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبي، قال: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنّة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خبرني بهن أنفا جبريل"، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد حوت، وأما الشبّه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبّه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبّه لها"، قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني⁽¹⁾ عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟"، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفرايتم إن أسلم عبد الله؟"، قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرّنا وابن شرّنا، ووقعوا فيه".

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"أندرون ما الغيبة؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره"، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتّه، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه"

• الفرق بين البهتان والافتراء والإفك:

تتقارب معاني هذه الألفاظ، بيد أنها عند التدقيق ممّا تختلف دلالاته وتتفاوت، فالإفتراء: هو أن يتكلم شخص خلف إنسان مستور بكلام هو فيه، وإن لم يكن ذلك الكلام فيه فهو بهتان، والكذب الفاحش الذي يدّش له سامعه هو بهتان إن لم يكن بحضرة المقول فيه، فإن كان بحضرتّه كان افتراء، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فإذا كان ذلك عن قصد كان إفكاً.

(بتلخيص عن الكفوى في الكليات)

(1) بهتوني: يقال بهتته: أي قلت فيه البهتان، وهو الباطل، وأصل البهت: أن يقال له الباطل في وجهه.

(٥) الحلف الكاذب والمن بالعطية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾ [البقرة: ٢٦٤]

أما الحلف الكاذب فقد انتشر بين الناس، وخصوصاً في الثَّجَار، وهو مُحَرَّم بكتاب ربنا وسُنَّة رسولنا ﷺ

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لنديا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيتُ بها كذا وكذا، فصدَّقه رجل، ثم قرأه هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]"

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي نر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذاب أليم، قال: قرأها رسول الله ﷺ مراراً، قال أبو نر رضي الله عنه: خابوا وخسروا، مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل إزاره، والمَنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة".

- أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه؛ لقي الله وهو عليه غضبان".

- وعند البخاري ومسلم أيضاً من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال:

"كان بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِي: شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينَهُ، قُلْتُ: إِذَا يَحْلِفُ وَلَا يَبَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم، وهو فيها فاجر؛ لقي الله وهو عليه غضبان"

تحذير ووعيد:

أحدَّر نفسي وإياك أخي الحبيب من اليمين الغموس، الذي يغمس صاحبه في الإثم، ثم يغمسه في النار،

وهو من الكبائر، فقد أخرج البخاري عن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"الكبائر: الإشراف بالله، وقتل النفس، واليمين الغموس"

(٦) التناجش^(١)

وهو نوع من أنواع آفات اللسان خاص بالبيع والشراء، وهو نوع من الخديعة والمكر، وأكل أموال الناس بالباطل.

معنى التناجش: قال الإمام الشافعي رحمه الله: "النَّجْشُ: أن يحضِرَ الرجلُ السلعةَ تباع، فيُعطي بها الشيء^(٢) وهو لا يريدُ شراءها ليقْتدي به السُّوَّامُ، فيُعطون بها أكثر ممَّا كانوا يُعطُون لو لم يسمعوا سومه" (فتح الباري: ٤/١٧٤)

- وقال الإمام الترمذي رحمه الله: "النَّجْشُ: هو أن يأتي الرجل الذي يفصل السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر مما تسوى^(٣)، وذلك عندما يحضره المشتري، يريد أن يغتَرَّ المشتري به (أي بما قاله ثمنًا للسلعة) وليس من رأيه الشراء، وإنما يريد أن يخدع المشتري بما يستام" (سنن الترمذي: ٣/٥٨٨)

- وقال الجرجاني رحمه الله: "النَّجْشُ: أن تزيدَ في ثمن سلعة، ولا رغبة لك في شرائها" (التعريفات: ص ٢٥٩)

- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "النَّجْشُ: هو الزيادة في ثمن السلعة ممَّن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، وقد سُمِّيَ تناجشاً؛ لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة، ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان في الإثم" (فتح الباري: ٤/٤١٦)

- وقد ذكر الفيومي ما يفيد أن التناجش يقع أيضاً في النكاح عندما قال: "يُقال: نجش الرجل: إذا زاد في سلعته أكثر من ثمنها...، وكذلك في النكاح وغيره، وفعل ذلك هو التناجش" (انظر المصباح المنير: ٢/٥٩٤)

• أنواع التناجش:

للتناجش أو النَّجْشُ صور عديدة أهمها:

- الأولى: أن يشترك الناجش والبائع للسلعة في خداع المشتري، بأن يتواطأ كلاهما على ذلك.
- الثانية: أن يقع الإغراء بدون علم البائع، بأن يتطوَّع الناجش من تلقاء نفسه برفع ثمن السلعة.
- الثالثة: انفراد البائع بعملية الإغراء، بأن يزعم أنه اشترى بأكثر ممَّا اشتراها به، وربما حلف على ذلك ليغر المشتري، وقد يقع ذلك منه بأن يخبر بأنه أُعطيَ في السلعة ما لم يُعطَ.
- الرابعة: أن يأتي شخصٌ إلى وليٍّ أمر فتاة وقد حضر من يخطبها، فيذكر مهراً أعلى ليغرَّ الخاطب بذلك، أو يذمها.
- الخامسة: أن يمدح شخصٌ سلعةً ما كي تباع، أو يذمها كي لا تتفقَ على صاحبها (وذلك كما في الإعلانات المغرضة التي لا تتفق مع الواقع)

(١) نضرة النعيم: ٩/٤٢٥٧ - ٤٢٦٤

(٢) فيعطي بها الشيء: أي يذكر لها ثمنًا معينًا.

(٣) فيستام بأكثر مما تسوى: استام: أي ساوم، والمراد بالمساومة: المجاذبة بين المشتري والبائع على السلعة، وفصل ثمنها.

• حكم التناجش

قال ابن بطال رحمه الله: "أجمع العلماء على أن الناجش عاصٍ بفعله، واختلفوا في البيع إذا وقع على ذلك، فقال جماعة من أهل الحديث: "إن البيع فاسد، وقد جاء ذلك في رواية عن مالك، وهو المشهور عن الحنابلة إذا كان ذلك بمواطأة المالك أو صنعه (أي في الصورتين الأولى والثالثة من صور التناجش).

- **وقد روي عن عمر بن عبد العزيز** رحمه الله: "أن عاملاً له باع سبياً، فقال له: "لولا أنني كنت أزيد فأنفقه لكان كاسداً، فقال له عمر: "هذا نجشٌ لا يحلُّ، فبعث منادياً ينادي: "إن البيع مردودٌ، وأن البيع لا يحلُّ"
(فتح الباري: ٤٠/٤١٦)

- **وقال الأحناف**: "البيع صحيح (مع الإثم)، وهذا هو الأصح عند الشافعية"

- **وقد قال الإمام الشافعي** رحمه الله: "إن نجشَ رجلٌ؛ فالناجشُ آثمٌ فيما يصنع، والبيع جائزٌ؛ لأن البائع غير الناجش"

- **والمشهور عند المالكية** (وهو وجه عند الشافعية أيضاً) ثبوت الخيار للمشتري، إن شاء أنفذ البيع وإن شاء نقضه، وذلك قياساً على المصراة^(١)، وقيد بعضهم تحريم النَّجْشِ بأن تكون الزيادة الناتجة عنه فوق ثمن المثل، ولو أن رجلاً رأى سلعة تباع بدون قيمتها فزاد فيها لتصل إلى قيمتها لم يكن ناجشاً عاصياً، وفي هذا القول نظر؛ لأن له أن يُعلم صاحب السلعة بقيمتها الحقيقية ويترك له الخيار في البيع". اهـ بتصرف واختصار
(فتح الباري: ٤/٤١٧)

- **وقال ابن قدامة** رحمه الله: "النَّجْشُ منهيٌّ عنه، وهو حرام وخداع، وفيه تغريرٌ بالمُشتري، فإن اشترى مع النجش فالشراء صحيح في قول أكثر أهل العلم منهم الشافعي وأصحاب الرأي، وعن أحمد أن البيع باطل؛ لأن النهي يقتضي الفساد...".

(١) المصراة: هي الشاة أو البقرة... أو نحوهما، إذا صرى لبنها وحقن بالضرع فلم تحلب، وقيل: التصرية ربط أخلاف الناقة أو الشاة وترك حلبها حتى يجتمع لبنها فيكثر، فيظن المشتري أن ذلك عادتها فيزيد في ثمنها.

• النهي عن النجش

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]

وجه ارتباط هذه الآية الكريمة بالتناجش ما روي عن سبب نزولها، من أن رجلا أقام سلعته فحلف بالله لقد أُعطيَ فيها ما لم يُعطَ، فنزلت هذه الآية

(انظر فتح الباري: ٤/١٧٤)

وذكر الإمام الطبري رحمته في تفسير هذه الآية (٢٣٠/٣) عن عامر الشَّعبي رحمته أنه قال: "أقام رجل سلعته أول النهار، فلما كان آخره جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منعها أول النهار من كذا وكذا، ولولا المساء ما باعها به (١)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وقال الإمام الطبري: "روينا عن مجاهد نحوه".

- وعن قتادة رحمته: أن عمران بن حصين كان يقول:

"من حلف على يمين فاجرة يقطع بها مال أخيه فليتبوا مقعده من النار، فقال له قائل: شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال لهم: إنكم لتجدون ذلك (في كتاب الله) ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ [آل عمران: ٧٧]

- وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش (٢)".

- وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ونهى عن النجش، ونهى عن بيع حبل الحبل، ونهى عن المزبنة (٣)، والمزبنة بيع الثمر بالتمر كيلاً، وبيع الكرم بالزبيب كيلاً"

(قال الشيخ أحمد شاكر رحمته: "إسناده صحيح، وهو في الحقيقة أربعة أحاديث).

(١) ولولا المساء ما باعها به: أي بالثمن المذكور في المساومة.

(٢) وردت كلمة "النجش" في الحديث بسكون الجيم وفتحها، قال ابن حجر رحمته: المشهور أنه بفتح الجيم لكن أكثر اللغويين على سكون الجيم.

(٣) يبدو أن تفسير المزبنة إما من كلام ابن عمر، وإما من كلام صاحب المسند.

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يتلقى الركبانُ لبيعٍ، ولا يبيعُ بعضكم على بيعِ بعضٍ، ولا تتاجشوا، ولا يبيع حاضر لبادٍ، ولا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر"

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد^(١)، ولا تتاجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها".

- وعند البخاري ومسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "إن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا - أو لا تحسسوا-^(٢)، ولا تتاجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً"

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يسم المسلم على سؤم أخيه، ولا يخطب على خطبته"

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل، ورجلٌ بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدّقه، وهو على غير ذلك، ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفي، وإن لم يعطه منها لم يف".

(١) معنى قوله ﷺ: "لا يبيع حاضر لباد" أي لا يكون الحاضر ساكن الحضر للبادي ساكن البادية سمساراً، أي يتقاضى أجره منه لبيع له بضاعته، ويجوز ذلك إذا كان البيع بدون أجر، من باب النصيحة. (انظر تفسير ابن عباس للعبرة، وشرح ابن حجر لها في فتح الباري: ٤/٤٣٣)

(٢) ولا تجسسوا أو لا تحسسوا: الشك من الراوي، وقد عبر عنه بلفظ "أو".

• النجش خداع

- فقد أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي في "شعب الإيمان" عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: "لولا أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المكر والخديعة في النار؛ لكنت من أمكر الناس" (وهو في "صحيح الجامع": ٦٧٢٥، دون قوله: "لكنت من أمكر الناس")

- وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ؛ فَهُوَ رَدٌّ"

- وقد جمع البخاري بين جزء من حديث قيس وحديث عائشة رضي الله عنها في ترجمته لباب النجش وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخديعة في النار، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ" (فتح الباري: ٤/٤١٦)

- قال الإمام البخاري: "هو (أي النَجْشُ) خداع باطل لا يحل" (كتاب البيوع)

- قال الإمام الترمذي: هذا (النَجْشُ) ضرب من الخديعة" (سنن الترمذي: ٣/٥٨٩)

- قال أيوب السختياني رضي الله عنه: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ كَأَنَّمَا يُخَادِعُونَ آدَمِيًّا^(١)، لو أتوا الأمر عياناً كان أهون علي"

- قال ابن حجر رضي الله عنه في شرح هذه العبارة: "لو أعلن (المخادعون) بأخذ الزائد على الثمن معاينة بلا تدليس لكان (الأمر) أسهل؛ لأنه (أي هذا الزائد يُجْعَلُ آلةً للخداع)" (فتح الباري: ١٢/٣٥٢)

- وقال ابن حجر رضي الله عنه: "سالك المكر والخديعة حتى يفعل المعصية أبغض عند الناس ممن يظاهر بها، وهو في قلوبهم أوضع، وهم عنه أشدُّ نفرةً" (المصدر السابق: ١٢/٣٥٢)

- قال ابن أبي أوفى: "الناجش أكل رباً خائن" (فتح الباري: ٤/٤١٦)

تنبيه

مَنْ خَافَ غَبْنًا فِي الْبَيْعِ وَخَدَاعًا، فَلْيَقُلْ: لَا خَلَابَةَ^(٢).

وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

"أَنْ رَجُلًا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ يَخْدَعُ فِي الْبَيْعِ، فَقَالَ: "إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ: لَا خَلَابَةَ".

(١) المراد بالمخادعين هنا: مَنْ يَخْدَعُونَ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ، وَيَحْتَالُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبِيعُوهَا بِأَزِيدٍ مِنْ ثَمْنِهَا، وَقَدْ صَدَرَ الْبُخَارِيُّ بِعِبَارَةِ أَيُوبِ هَذِهِ الْبَابِ الَّذِي عَقَدَهُ لَمَّا يَنْهَى عَنْهُ مِنَ الْخَدَاعِ فِي الْبَيْعِ. (انظر فتح الباري: ١٢/٣٥٢)

(٢) لَا خَلَابَةَ: أَي لَا خَدِيعَةَ، وَمَعْنَى يَخْدَعُ فِي الْبَيْعِ: أَنَّهُ يَلْقَى مِنْهَا غَبْنًا.

٧) عدم الوفاء بالوعد (الخلف في الوعد)

والاستمرار على الخلف في الوعد من علامات النفاق

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"آية المنافق ثلاث: إذا حدث كَذَبَ، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمِنَ خان"

- وفي البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من

النفاق حتى يدَعَهَا: إذا حدث كَذَبَ، وإذا عاهد غدرَ، وإذا وعد أخلفَ، وإذا خاصم فَجَرَ"

تنبيهان:

١- وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا وعد اخلف"، ينزل على من وعد وكان عازماً على أن لا يفي، أو ترك

الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فظهر له عذر منعه من الوفاء، لم يلحقه الوعيد، ولا

يتصف بأوصاف المنافقين، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة

النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته.

٢- لا تعد إلا إذا كنت عازماً على الوفاء، قادراً عليه، ويستحب أن تلحق الوعد بكلمة رجاء، مثل أن

تقول: "أرجو أن أفعل، أو من أراد أن يُوعد فعليه أن يلحق الوعد بالمشيئة، فيقول: "سأفعل إن شاء الله،

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يعد وعداً إلا ويقول: "إن شاء الله" وهذا هو الأولى حتى يخرج من دائرة

العزم والتصميم على فعل ما لا يملكه.

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر.

• كما أن الخلف في الوعد من علامات النفاق، فإن الصدق والوفاء في الوعد من علامات الإيمان

والتقوى.

- فقد نادى الله تعالى على أهل الإيمان، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]

- ولهذا أتى الله تعالى على سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ لأنه كان يفي بالوعد، فقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]

- وأخرج أبو داود والبيهقي وابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت" بسند فيه مقال عن عبد الله ابن أبي الحَمَسَاءِ قال: "بايعتُ^(١) النبي ﷺ قبل أن يُبَعِّثَ، وبقيت له بقية^(٢) فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث انتظرك"

(ضعفه الألباني في سنن أبي داود: ٢٩٩)

- وذكر ابن أبي الدنيا في "كتاب الصمت" أثر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وفيه: "أنه لما حضرته الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق، أشهدكم أنني قد زوجته ابنتي"

(٨) الخوض في الباطل

كالكلام عن المعاصي وأهلها، وكذلك كل كلام ينشأ عن تحريك الشهوات، أو إثارة الغرائز، أو الغيبة، أو الاعتراض على الغير والطعن فيه، ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع، والمذاهب الفاسدة، وما جرى من قتال الصحابة، على وجه يوهم الطعن في بعضهم، أو ترديد الشائعات التي تتناول الناس، وأنواع الباطل والتي لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها.

• وأكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل
فقد أخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

"أعظم الناس خطايا يوم القيامة؛ أكثرهم خوضاً في الباطل" (قال الحافظ العراقي: "سنده صحيح")

- وقد حكى القرآن عن أهل النار، حيث قالوا: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥]

وقد نهانا رب العالمين عن الجلوس مع مثل هؤلاء، وإلا أصابنا ما أصابهم من عذاب، فقال تعالى:

[النساء: ١٤٠]

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ . . .﴾

(١) بايعت: أي اشتريت.

(٢) بقية: أي شيء من ثمن ذلك البيع، وكان انتظار النبي ﷺ لصدق وعده، لا لقبض الثمن.

- وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه يقول:

"لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك من الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن" (رواه أبو نعيم في الحلية، وابن أبي الدنيا في الصمت) وليس معنى ذلك أن نكف عن الكلام تماماً، وإنما نزن الكلام بميزان الشرع، فكلُّ كلام لا يسخط الله تعالى، ويرضي جلساءك فلا بأس أن تتكلم به، والأفضل الصمت إن لم يكن في الكلام مصلحة.

- يقول إبراهيم التيمي رضي الله عنه:

"إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر، فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً^(١)"

وأذكر هنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها^(٢)، يزل بها**

في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)

- وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار"

ويقول ابن القيم رحمته الله: "وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى:

آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطانٌ أحرص عاصي الله، وراء مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطانٌ ناطقٌ عاصي الله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم، كفوا أسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة". اهـ

وأشدد ابن المبارك أخاً له كان يصحبه فقال:

إذا كنت فارغاً مستريحاً
فاجعل مكانه تسبيحاً
وإن كنت بالكلام فصيحاً

واغتنم ركعتين زلفى إلى الله
وإذا ما هممت بالمنطق الباطل
إن بعض السكوت خير من النطق

(من ديوان عبد الله بن المبارك رحمته الله)

(١) رسلاً: أي كان الكلام على لسانه سهلاً ومتهاوناً فيه.

(أفاده النووي رحمته الله)

(٢) إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها: يعني يتفكر أنها خير أو لا

ومن صور الخوض في الباطل والتي كثرت في هذا الزمان، الخوض في أعراض المسلمين وتجريحهم خاصة العلماء منهم، والأخطر من ذلك أنهم يعدون ذلك دين يدينون به إلى الله، فيئثمون العلماء في عقائدهم وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وخلجات قلوبهم، ومقاصدهم ونياتهم، فتراهم يرمون العلماء أو طلبة العلم بالئثم فيقولون: "هذا خارجي، معتزلي، مرجئ، طريقي، مقلد متعصب، متطرف، متمت، رجعي، أصولي، مدهن، مراء، من علماء السلطان، عميل، وكل هذا يقال من غير بيّنة ولا برهان، إنما بالهوى والظن والخوض في الباطل.

وقد أخرج عبد الرزاق في "تفسيره" عن قتادة رضي الله عنه قال في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِتُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ

عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]: قال قتادة: "ما بال أقوام يتكفون علم الناس؟! فلان في الجنة، وفلان في

النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري! لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس، ولقد

تكلفت شيء ما تكلفه الأنبياء قبلك، قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٢]

وقال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٦]

وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]"

- فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، ولا يخوض به في الباطل، فإن فعل فهو من أفضل الناس.

فقد أخرج ابن نصر في "الصلاة" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل الجهاد من جاهد

نفسه في ذات الله، وأفضل المهاجرين من جاهد نفسه وهواه في ذات الله" (١)

(صححه الألباني في الصحيحة: ١٤٩١)

(١) تنبيه: كذا وقع في الأصل: "وأفضل المهاجرين من جاهد... الخ.

ولا يخفى ما فيه، ولعل الصواب ما في "الجامع الصغير" من رواية الطبراني في "الكبير" عن ابن عمرو بلفظ: "وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله صلى الله عليه وسلم"

(أفاده الألباني رضي الله عنه في "الصحيحة": ٤٧٩/٣)

(٩) التشدق في الكلام

والتَّشَدُّقُ في الكلام هو تكلفُ السجع، والتَّعَمُّقُ، والمبالغة في إظهار الفصاحة في النطق. والمتشدد هو المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاعلاً وتعظيماً لكلامه، وهذا من التَّنَطُّع في الذي نهى الشرع عنه.

- فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"هك المتنتطعون" قالها ثلاثاً.

والتَّنَطُّع في الكلام: هو التَّعَمُّقُ فيه، والتفاسح، وتكلفُ البلاغة في أساليب الكلام. فالمتنتطعون هم المتعمقون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم" (انظر جامع الأصول لابن الأثير: ١١/٧٣٣).

- ولقد ذم النبي ﷺ التشدق في الكلام، وتكلفُ السجع والفصاحة
فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال:

"جاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة، فتكلم بين حاجته بكلام، فقال له سعد رضي الله عنه: ما كنت من حاجتك أبعد منك اليوم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي على الناس زمان يتخللون فيه الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلاً بألسنتها" - وفي رواية: "سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر من الأرض"
(صحيح الجامع: ٣٦٧٠) (الصحيحة: ٤١٩)

- ووجه الشبه: إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل، وخصَّ البقرة من بين البهائم؛ لأن سائرهما تأخذ النبات بأسنانها، والبقرة لا تحتش إلا بلسانها، وقال القاضي: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاعلاً بما يفعل البقر، وما ذكر من أن الرواية: **"يتخلل"** بقاء معجزة هو المشهور، وفي بعض نسخ المصابيح: **"يتجلل"** بالجيم، قال القاضي: فيكون تشبيهاً له في تكلمه بالهجر وفحش الكلام بالجلالة في تناول النجاسات.

وقيل: "إن وجه الشبه أن هؤلاء يتخذون ألسنتهم زريعة إلى مآكلهم، كما تأخذ البقر بألسنتها، فهؤلاء لا يهتدون إلى مآكلهم أمن حلال أم من حرام؟ ولا يميزون بين الحق والباطل، والحلال والحرام، كما لا تميز البقرة في رعيها بين رطب ويابس، وحلو ومر، بل تلف الكل".

(انظر فيض القدير: ٤/٣٠١٦)

- وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

"إن شقاشق الكلام^(١) من شقاشق الشيطان"

- وفي لفظ: "إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان".

- يقول الغزالي رضي الله عنه في كتابه "الإحياء" (١٦٢/٣):

"ولا يدخل في هذا تحسين كلام الخطابة والتذكير، من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها، وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه، فهو لائق به أما المحاولات التي تجرى لقضاء الحاجات، فلا يليق بها السجع والتشذُّق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء، وإظهار الفصاحة، والنَّمِيزُ بالبراعة، وكل ذلك مذموم، يكرهه الشرع ويزجر عنه". اهـ

- ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المتشذِّقين في الكلام هم أبعد الناس منه يوم القيامة.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ

وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون^(٢) والمتشذِّقون^(٣) والمتفیهقون^(٤)، قالوا: يا رسول الله،

قد علمنا الثرثارون والمتشذِّقون، فما المتفیهقون؟ قال: المتكبرون" (صحيح الجامع: ٣٢٦٠)

- يقول ابن القيم رحمه الله كما في "الداء والدواء":

"وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب، شاء صاحبه أم أبي"

- قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "القلوب كالقُدُور، تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها". اهـ

(١) وتشقيق الكلام: أي يلوي لسانه يميناً وشمالاً، ويترك القصد، ويتكلف الكلام الموزون المسجع؛ حرصاً على التَّفصُّح والاستعلاء على الغير تيهياً وكِبَراً.

(٢) الثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً.

(٣) المتشذِّق: هو المتكلم بكل شذقيه، ويلوي لسانه، ويتكلف في الكلام، فيلوي به شذقيه، أو هو المستهزئ بالناس، يلوي شذقه عليهم، والشذق:

جانب الفم" (فيض القدير: ٣٠١٦/٤)

(٤) المتفیهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسّع فيه تكبُّراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره.

والإنسان إذا تكلف الكلام وتفاصح وتشدق، فاعلم أنه في قلبه مرض الكبر؛ لأنه يرى نفسه فضلاً على غيره ومزية عليه، فيحتقر من تقدمه، ولا يعلم هذا المسكين أن قلة كلام السلف إنما كان ورعاً وخشية لله، ولو أرادوا الكلام وإطالته والفصاحة فيه ما عجزوا، غير أنهم إذا ذكروا عظمة الله تلاشت عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وقصرت ألسنتهم" (فيض القدير: ٣٠١٢/٤)

• والمُتَشَدِّقُ في الكلام يبغضه الله تعالى

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلُّ الباقرة^(١) بلسانها"** (الصحيحة: ٤٢١)، (صحيح الجامع: ١٨٧٥)

وقوله: **"إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال"**: أي المظهر للتقصُّح تيهاً على الغير وتفاصحاً واستعلاءً، ووسيلة إلى الاقتداء على تصغير عظيم، أو تعظيم حقير، أو بقصد تعجيز غيره، أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه، أو إجلال الحُكَّام له ووجاهته وقبول شفاعته، وبغض الله للمتشدق في الكلام هو إرادته عقاب من أبغضه وإيقاع الهوان به". اهـ بتصريف واختصار (فيض القدير: ٣٠١٤/٤)

• والمتشدق في الكلام من شر الخلق

- فقد أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"خيركم أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، وشراركم الثرثارون المتفیهقون المتشدقون"

(صحيح الجامع: ٣٢٦٠)

- وأخرج الطبراني وأبو نعيم في "الحلية" عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام؛ فأولئك شرار أمتي" (صحيح الجامع: ٣٦٦٣)

- وعند البيهقي في "الشعب" عن فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:

"شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام" (صحيح الجامع: ٣٧٠٥)

- وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"شرار أمتي الثرثارون المتشدقون، وخيار أمتي أحاسنهم أخلاقاً"

(صحيح الجامع: ٤/٣٧٠)

. ويدخل في هذا كل سجع مُتَكَلَّف، وكذلك التفاضح الخارج عن حدِّ العادة، وكذلك التكلُّف بالسجع في

المحاورات، وفي حديث أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم:

"قضى بغرة في الجنية، فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح

ولا استهل، ومثل ذلك بطل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَسْجَعًا كَسَجَعِ الْأَعْرَابِ"

وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه ذلك؛ لأن أثر التكلُّف والتصنُّع كان ظاهراً في كلامه، بل ينبغي أن يقتصر في كل

شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض، وما وراء ذلك تصنُّع مذموم.

- وكانت عائشة رضي الله عنها تقول للسائب: **"إياك والسجع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون"**

- ويقول الغزالي رحمته الله: "مرَّ بعضُ السلف بقاصٍّ يدعو بسجع، فقال له: أَعَلَى الله تتبالغ؟ ادع بلسان

الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق".

- وقال النووي رحمته الله في "الأذكار": "فيكره التعيير في الكلام بالنَّشْدُق، وتكلُّف السجع، والفصاحة،

والتَّصْنُع بالمقامات التي يعتادها المتفاحون، وزخارف القول، فكله من التكلُّف المذموم"

(انظر فيض القدير: ٤/٣٠١٤)

(١٠) النياحة على الميت

والنِّياحةُ أمرٌ زائدٌ على البكاء، فيُرفعُ الصوتُ بتعديدِ شمائلِ الميت، ومحاسنِ أفعاله، وهو من أمرِ الجاهلية - كما أخبر بهذا خير البرية ﷺ.

- فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة"

- من أجل ذلك كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على النساء عند دخولهن في الإسلام ألا ينحن.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أم عطية رضي الله عنها قالت:

"أخذ علينا النبي ﷺ عن البيعة أن لا ننوح."

- وقد جاء الوعيد الشديد في حق النَّائحة التي ماتت ولم تتب من هذا الأمر

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"النَّائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب"

- وأخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"النَّائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تبعث يوم القيامة عليها سراويل من قطران، ثم يُغلى عليها بدرع من لهب النار"

- وعند الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" والحاكم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال: "أربعٌ بقين في أمتي من أمرِ الجاهلية، ليسوا بتاركيها: الفخر بالأحساب، والطعن في

الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة على الميت، وإن النَّائحة إذا لم تتب قبل الموت؛

جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطران، ودرع من لهب النار" (صحيح الجامع: ٨٧٥)

فكل من خالفت أمر النبي ﷺ ووقعت فيما حذر منه فقد برئ منها؛ لأنها خالفت هديه وسارت على غير

طريقه، وقد جاء عند البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"

- وثبت أيضاً في "صحيح البخاري ومسلم": "أن أبا موسى قد وجع وجعاً شديداً؛ فغشي عليه

ورأسه في حجر امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: "أنا بريء

ممن برئ منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة^(١) والحالقة^(٢) والشاققة^(٣)"

(١) الصالقة: هي التي ترفع صوتها بالنياحة عند الفجعة بالموت، أو عند نزول المصيبة.

(٢) الحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة.

(٣) الشاققة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

(١) الأمر بالمعروف وعدم الإتيان به، والنهي عن المنكر والإتيان به

وهذا من آفات اللسان الخطيرة، والتي توجب لصاحبها العذاب الأليم في نار الجحيم

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال:

"سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُجاءُ بالرجل" (١) يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق (٢) أقتابه (٣)، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية"

- وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون"

- وفي رواية: "هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون بالبر".

- وروى عن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة، تضيء على الناس وتحرق نفسها"

(رواه البيهقي)

- وعن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج، يضيء للناس ويحرق نفسه"

(قال الألباني رضي الله عنه: "أخرجه الطبراني في "الكبير" من طريقين يقوي أحدهما الآخر، ويشهد له ما قبله)

- وجاء القرآن الكريم يحذر كل من يقع في مثل هذا.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]

قال تعالى: ﴿ أَمْ أَمْرُومَنَ النَّاسِ بِالْبُرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلَوِّنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]

(١) الرجل: أي الذي يخالف علمه عمله.

(٢) الاندلاق: هو خروج الشيء من مكانه بسرعة.

(٣) أقتابه: جمع "قتب" بكسر القاف: وهي الأمعاء.

- قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (٣٣٦/١):

"اعلم وققك الله تعالى أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبخهم به توبيخاً يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

- وقال منصور الفقيه فأحسن:

بالذي لا يفعلونا
لم يكونوا يصرعونا

إن قوماً يأمرونا
لمجانين وإن هم

- وقال أبو العتاهية:

وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى

- وقال أبو الأسود الدؤلي:

عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
فإن انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم

لاتنه عن خلق وتأتى مثله
وابداً بنفسك فانهها عن غيرها
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدي

- وقال أبو عمرو بن مطر: "حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد، فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته، فناداه رجلٌ كان يعرف بأبي العباس: ترى أن تقول في سكوتك شيئاً؟، فأنشأ يقول:

طبيب يداوى والطبيب مريض

وغير تقى يأمر الناس بالتقى

(ذكره القرطبي رحمه الله)

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج. اهـ

- قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: "أريد أن أمر بالمعروف، وأنهاى عن المنكر، فقال له ابن

عباس رضي الله عنهما: إذا لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل، وإلا فابدأ بنفسك ثم تلا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]، وقوله حكاية عن شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]

قال النخعي رحمه الله: "كانوا يكرهون القصص لهذه الآيات الثلاث"

• فلماذا ولغيره كان النبي ﷺ يستعيز من علم لا ينفع

فقد أخرج الإمام مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول:

"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها"

تنبيه مهم:

لعل قائل يقول: "طالما أن الأمر بهذه الخطورة، فأنا لا أعظ الناس، ولا أمر بمعروف، ولا أنهي عن منكر حتى أنخلع عن كل ذنب، وأصل إلى مرحلة الكمال أو ما يقاربها، ثم بعد ذلك أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، والجواب عن هذا نقول: "إنه لا يشترط فيمن يعظ الناس العصمة من الذنوب".

- يقول الشيخ أحمد فريد - حفظه الله - في كتابه "تحفة الواعظ" (ص ١٩):

"ومع هذا كله فلا بد للإنسان من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والتذكير، ولو لم يعظ إلا معصوم من الزلل، لم يعظ الناس بعد رسول الله ﷺ أحد؛ لأنه لا عصمة لأحد بعده

لئن لم يعظ العاصين من هو مُذنبٌ فمَن يعظ العاصين بعد محمد

- قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: "لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهي عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر". اهـ

مَن ذَا الذي ما ساء قط ومَن له الحسنَى فقط

قلت: ولعل العبد الذي يسعى لإصلاح نفوس الناس بدعوتهم إلى التوبة والاستقامة على طريق الله ﷻ أن يوفقه الله ﷻ لتوبة نصوح، وأن يصلح له نفسه، فالجزاء من جنس العمل، نسأل الله أن لا يجرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا.

والعبد كذلك يجتهد في دعوة الناس إلى الله ﷻ وإصلاحهم، ويجتهد كذلك في دعوة نفسه وإصلاحها، والناس يطيعونه ويعصونه، ونفسه تطيع وتعصى، وقد قال بعض السلف: "حق على شاربي الكؤوس أن يعظ بعضهم بعضاً".

- وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوماً، فقال في موعظته: "إني لأقول هذه المقالة ولا أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه"
وكتب إلى بعض نوابه على بعض الأمصار كتاباً يعظه فيه، وقال في آخره:

"وإني لأعظك بهذه وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير مُحكِّمٍ لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه؛ إذا لتواكل الخير، وإذا لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لاستحلت المحارم، وقلَّ الواعظون والمسارعون لله بالنصيحة في الأرض"

والشيطان وأعوانه يودون أن لا يأمر أحدٌ بمعروف، ولا ينهى عن منكر، وإذا أمرهم أحدٌ أو نهاهم عابوه بما فيه، وبما ليس فيه.

وأعلنت الفواحش في البوادي	وصار الناس أعوان المريب
إذا ما عبتهم عابوا مقالتي	لما في القوم من تلك العيوب
وودوا لو كففنا فاستوينا	فصار الناس كالشيء المشوب
وكنا نستطب إذا مرضنا	فصار هلاكنا بيد الطبيب

اهـ (من تحفة الواعظ للشيخ أحمد فريد - حفظه الله-)

- وقال الحسن لمطرف بن عبد الله: "عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: "يرحمك الله، وأنيأ يفعل ما يقول، ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم ينه عن منكر".

- وقال مالك بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: "سمعت سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول:

"لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحدٌ بمعروف ولا نهى عن منكر، قال مالك: "وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟" (تفسير القرطبي: ٣٣٧/١)

وعلى هذا لا بد أن تعلم أن المسلم عليه واجبان:

الواجب الأول: أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر، ويكون عاملاً بما علم.

الواجب الثاني: أن يأمر غيره بالمعروف وينهى عن المنكر عن علم وبصيرة، فإذا قام بأحد الواجبين وترك الآخر؛ بقي عليه ما ترك وسقط عنه ما قام به إذا خلصت نيته، والله أعلم

(آفات اللسان ص ١٢٥ للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني - حفظه الله)

(١٢) **تصدر المجالس بالحديث وهناك من هو أسن وأعرف منه**

فتجد أحدهم ربما يكون في المجلس من هو اكبر منه سناً، أو أعلى منه قدراً، أو أعلم منه فقهاً، أو أحفظ منه قرآناً، ومع ذلك تجده يتكلم بحضرتهم، ويسبقهم بالكلام، وهذا لا ينبغي، وهو بخلاف ما جاء به الإسلام، ولأهل العلم حق، ولأهل الفضل حق، وللكبير حق.

- فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

"ليس منا من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويوف لعالمنا حقّه" (صحيح الجامع: ٥٤٤٣)

- وفي رواية عند الإمام أحمد أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا" (صحيح الجامع: ٥٤٤٤)

- وفي رواية هي أيضاً عند الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا" (صحيح الجامع: ٥٤٤٥)

- وثبت في "صحيح البخاري": "أنه جاء حويصه ومحيصه إلى رسول الله ﷺ، وذهب

محيصه يتكلم، فقال له النبي ﷺ: "كَبْرُ كَبْرٍ" يريد السنّ، فتكلم حويصه ثم تكلم محيصه"

قال بطلان رضي الله عنه: "وقول النبي ﷺ: "كَبْرُ كَبْرٍ"، يريد ليتكلم الأكبر وهذا من باب أدب الإسلام.

(شرح صحيح البخاري: ٦٤/١)

- وفي "الصحيحين" من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر

القوم، فسكت، قال النبي ﷺ: هي النخلة"

فانظر إلى قوله: "فإذا أنا أصغر القوم فسكت"

- وفي رواية أخرى: "فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم"

- وفي "صحيح مسلم" من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:

"لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن

هاهنا رجالاً أسنّ مني"

- ويقول سلمة بن كهيل رضي الله عنه: "كان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء لسنّه".

- ويقول الحسن بن علي الخلال رضي الله عنه: "كنا عند معتمر بن سليمان يحدثنا إذ أقبل ابن المبارك،

فقطع معتمر حديثه، فقيل له: حدثنا، فقال: إنّنا لا نتكلم عند كبرائنا" (الجامع لأخلاق الروي وآداب السامع: ٣٢٠/١)

(١٣) مقاطعة المتحدث

ومقاطعة المُتحدِّث - وإن لم يعجبك كلامه - من عثرات اللسان وسقطاته، وهي آفة توغر الصدر وتمنع الفائدة، وربما تحرم القاطع بركة العلم.

وكان من هدي النبي ﷺ ألا يقاطع أحداً إذا تحدّث حتى ينتهي المُتحدِّث من حديثه.

- **ففي الحديث الذي أخرجه ابن سعد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال محدّثاً عن الرسول ﷺ:**

"كان إذا لقيه أحدٌ من أصحابه فقام معه، قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجلُ هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحدٌ من أصحابه فتناول يده ناوله إياها، فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه، وإذا لقي أحداً من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه"

(صحيح الجامع: ٤٧٨٠)

- وأخرج البيهقي بسنده في قصة زهاب عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ وكان سيّداً حليماً في قومه وفي الحديث: "... فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت... حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها. فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا الوليد أسمع"، ... حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد، قال: نعم، قال: "اسمع منّي"، قال: أفعل، فتلا عليه من أول سورة فُصِّلَتْ إلى السجدة فسجدها، ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت، قال: فأنت وذاك. ثم قام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به"

(البداية والنهاية: ٦١/٣)

- وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا قلت للناس أنصتوا وهم يتكلمون، فقد ألغيت على نفسك"

قال الألباني رحمه الله معلقاً على هذا الحديث:

"وفي هذا الحديث تحذير من الإخلال بأدب رفيع من آداب الحديث والمجالسة، وهو أن لا يقطع على الناس كلامهم، بل ينصت حتى ينتهي كلامهم"

(١٤) **ترويح الشائعات:**

ممّا لاشك فيه أن الشائعات لها دور خطير في زعزعة أمن الناس واستقرارهم، فهي تثير القلاقل والفتن، التي تفرق بين المسلمين، وتوقد نار الشحناء والبغضاء بينهم، وتعمل على نشر الأكاذيب والترويح للباطل؛ فتقلب الأمور، وتبدّل الأحوال، والسبب أن الناس ينقلون الكلام دون تثبّت من صحته، ويظنّون أن هذا الأمر هين، ولكنه عند الله عظيم.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُوْنُهُ بِالسِّنِّتِكُمْ وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُوْنَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]
 فلا بد من التبيّن في الأمر، والتنبّث من الخبر قبل نقله والترويح له، وهذا مطلب كل إنسان عاقل، حتى يستبين له الحق، ويقف على حقيقة الأمر، وهذا ما أمرنا به القرآن الكريم، **حيث قال رب العالمين:**
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]
قال ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية:

"يأمر تعالى بالتنبّث من خبر الفاسق ليحتاط له؛ لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين". اهـ

- **وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ وَكُورِدُوْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَابْتَعْتُمُ الشَّيْطَانَ الْإِقْلِيَالًا﴾ [النساء: ٨٣]**

- **قال ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية:** "وفي قوله: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ﴾** إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها، فيخبر بها ويغشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة".

- **ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن" (ص ١٩٠):**
 "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ممّا يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يرثونه إلى رسول الله ﷺ، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها". اهـ

- وقد حذر النبي ﷺ من العجلة وعدم التثبث.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"

- **وفي "سنن أبي داود" بسند صحيح عن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**

"بئس مطية الرجل زعموا"

(الصحيحة: ٨٦٦)

الخاتمة... نسأل الله حسنها

نصائح وتوجيهات لمن أراد النجاة والتخلص من آفات اللسان

(١) مجاهدة النفس في إصلاح اللسان، والعزيمة على إرادة التغيير

على الإنسان المُبتلى بهذه الآفات السابق ذكرها أو ببعضها أن يجاهد نفسه لتركها، ويسعى للتخلص منها.

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]

فمن سُنَّة الجهاد البداءة بالعدو الأقرب فالأقرب، والنفس الأمارة بالسوء بين جنبي الإنسان هي أقرب أعدائه إليه، فليبدأ بمجاهدتها وقمعها، خصوصاً وأنها التي تأمر اللسان بالغبية، والنميمة، والجدل، والمراء، والكذب، والخوض في الفتن... وغير ذلك من آفات اللسان.

- وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ" (الصحيحة: ٥٤٩)

- وأخرج أبو نعيم في "الحلية" (٢/٢٤٩) عن أبي زر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ﷻ" (الصحيحة: ١٤٩٦)

- وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أفضل المؤمنين إسلاماً: من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً

أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد من

جاهد نفسه في ذات الله ﷻ" (الصحيحة: ١٤٩١)

- وكان أبو حازم رضي الله عنه يقول: "قاتل هواك أشد ممّا تقاتل عدوك" (الحلية: ٢٣١/٣)

- ويقول محمد بن المنكدر رضي الله عنه: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت" (صفة الصفوة: ١٢١/٢)

- واللسان مجمع الأهواء، وجهاده من أشق الجهاد، وجهاد النفس أصعب من جهاد البدن؛ لأن البدن

مأمور، والنفس أمارة بالسوء. اهـ بتصرف (بصائر في الفتن للمقدم - حفظه الله - ص ٧٦)

لكن إن كانت هناك إرادة وعزيمة قوية على تقويم هذا اللسان، وحبسه عن اللغو والهذيان، فالله تعالى يوفق من كان هذا حاله، فالله تعالى يقول عن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]

فلو كان لهم رغبة في الخروج لأعدوا العدة لذلك، ولكن اطلع الله على قلوبهم فعلم أنهم غير عازمين على الخروج؛ فثبَّطهم، وقيل: اقعدوا مع القاعدين.

فتأتي الإرادة أولاً، فلو كان الإنسان صدقاً يريد تقويم هذا اللسان؛ لأخذ بالأسباب، وسعى بكل الإمكان للتغيير والوصول إلى أفضل حال، فإنه لا يتصور لإنسان لم يأخذ بالأسباب، ثم يقول: "أنا أريد ولكن لا أوفق".

لا بد أن نعلم أن الطباع قابلة بالمجاهدة أن تُقوِّم؛ ولذا جاءت الشرائع تأمر بالفضائل، وتنهى عن الرذائل، فليجاهد كلُّ منَّا نفسه على تقويم لسانه، وتطهيره من الآفات التي سبق ذكرها، فإن استقامة اللسان ركن ركين من أركان استقامة سائر الأعضاء،

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان^(١)، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا" (صحيح الجامع: ٣٥١)

(٢) قراءة سير السلف الصالح

يقول الشيخ الشنقيطي رحمته الله في شريط له بعنوان "عدة الداعية":

"أوصيك بكثرة قراءة سير السلف الصالح، فإنك ما أصبت بضعفٍ أو فتور في طلب العلم، فتقرأ سيرة عالم؛ إلا خشع قلبك، وصدقت عزميتك، وأحبيبتُ أن تكون مثله؛ لأن الله جبل قلوب أهل الخير على حب الخير والشوق إليه، فإذا قرأت سيرة العالم العامل تأثرت...". ثم قال: "وقراءة مواقف العلماء الصادقين تُسلي وتقوي العزيمة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]

قال العلماء: "فيه دليل على أن القصص تُنبِّت القلوب، فإذا أحسَّ طالب العلم أن قلبه يريد أن يضعف تُبِّتَه بسير الصالحين، وسير العلماء العاملين، الأئمة المهديين؛ فزاده ذلك عزيمة على الخير، وثباتاً على الخير"

ثم قال الشيخ رحمته الله: "ومن الأمور التي تُعين على حفظ اللسان: قراءة سير السلف الصالح - رحمة الله عليهم - ففيها النماذج الكريمة التي تحيي في الأنفس الاشتغال بما يعني عما لا يعني". اهـ

(١) تكفر اللسان: أي تذلل وتخضع له.

(٣) عدم الإكثار من مخالطة الناس

من الملاحظ أن كثير من الآفات السابقة كانت نتيجة مخالطة الناس، وخصوصاً أهل الفساد منهم، فعلى من أراد النجاة أن يصاحب الأخيار، ويتعد عن الأشرار.

- وقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة"

قال الإمام النووي رحمته الله في شرح هذا الحديث: "فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع، والعلم، والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته... ونحو ذلك من الأنواع المذمومة" (شرح النووي على مسلم: ٥/٤٨٤)

فعلى الإنسان أن يتحرى غاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم، وأن يتجنب مجالسة الأشرار؛ لأنه لا يأمن غائلتهم، والطبع يسرق من الطبع وهو لا يدري، وكما قيل: "الصاحب صاحب"، فصحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرّت على التنتن حملت نتناً، وإذا مرّت على الطيب حملت طيباً، وقيل: "لا تصحب الفاجر، فإنه يزيّن لك فعله، ويود لك أنك مثله"

ولمّا كان الدفع أسهل من الرّفْع، والوقاية خير من العلاج، أشار النبي ﷺ إلى فضيلة لزوم الإنسان بيته انتقاء لآفات اللسان، واحترازاً من الغيبة، والنميمة، والجدل، والسعاية... وغير ذلك.

- فقد أخرج ابن حبان والطبراني في "الكبير" والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ:
"... ومن جلس في بيته لم يغتب إنساناً كان ضامناً^(١) على الله"

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جلوس في مجلس، فقال: ألا أخبركم بخير الناس منزلاً؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: رجل أخذ برأس فرسه في سبيل الله حتى عقرت أو يقتل، فأخبركم بالذي يليه؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: امرؤ معتزل في شعب يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس"

(١) ومعنى ضامن على الله: أي مضمون، وقال النووي رحمته الله في "الأذكار": "معنى ضامن يعني صاحب الضمان، والضمان الرعاية للشيء".

- وجاء في "كتاب الزهد" لابن أبي عاصم عن أبي نر رضي الله عنه قال:

"ما لي وللناس، وقد تركت لهم بيضاءهم وصفراءهم؟!"

- وكما قيل:

سوى الهذيان من قيل وقال

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً

لأخذ العلم أو إصلاح حال

فأقتل من لقاء الناس إلا

(وفيات الأعيان: ٢٨٣/٤)

- وقال الشافعي رضي الله عنه: "الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن

بين المنقبض والمنبسط"

- وقال شقيق البلخي: "اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك"

(صفة الصفوة: ١٦٠/٤)

- وقال عبد الله بن داود: "من أمكن الناس من كل ما يريدون، أضروا بدينه ودنياه"

(سير أعلام النبلاء: ٣٤٩/٩)

ولذلك قيل: "علامة المرید قطیعة كل خلیط، لا یرید ما یرید"

- وقال إبراهيم بن أدهم: "من أراد التوبة، فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم نيل ما

يريد"

- وعن بشر بن الحارث قال: قال سفيان الثوري:

(الحلية: ٦٣/٧)

"وددتُ أني إذا جلست لكم أقوم كما أقعد، لا عليّ، ولا لي"

- وعن زياد بن حديد قال: "لوددتُ أني في حيز من حديد، ومعني ما يصلحني، لا أكلم الناس، ولا

(الحلية: ١٩٧/٤)، (الزهد لابن أبي عاصم: ص ٤٢)

يكلّموني، حتى ألقى الله - تبارك وتعالى"

- وعن محمد بن واسع قال: "رأيت صفوان بن محرز في المسجد، وقريباً منه ناس يتجادلون، فرأيتهم

قام فنفض ثيابه، وقال: "إنما أنتم جربٌ - مرتين" (الحلية: ٢١٥/٢)، (ابن أبي الدنيا في الصمت: رقم ١٢٦)

- وقال بشر بن منصور: "ما جلست إلى أحد، فتفرقنا، إلا علمتُ أني لو لم أقعد معه كان خيراً لي"

(سير أعلام النبلاء: ٣٦١/٨)

- وعن سفيان قال: "إني لألقى الأخ من الإخوان اللقاء، فأكون بها عاقلاً شهراً" (حلية الأولياء: ٥٣/٧)

- وقال محمد بن نصر الحارثي لأبي الأحوص: "أليس يزعمون أن الله تعالى قال: "أنا جليس من ذكرني؟"، قال: بلى، قال: ما على أحد أن لا يجالس الناس" (الزهد لابن أبي عاصم رقم: ٨٣، ص ٤٧)

- وعن أبي أسامة قال: "قلت لمحمد بن النضر:

"أما تستوحش من طول الجلوس في البيت؟ فقال: ما لي أستوحش، وهو يقول: أنا جليس من ذكرني" (الشعب للبيهقي: رقم ٦٩٧)

(٤) شكر نعمة اللسان

بأن يحمد الله على نعمة النطق التي حرّمها غيره، ويعلم أن من شكرها استعمالها في مرضاة المنعم عليه بها، الذي أسداها إليه ليعبده بها ويذكره ويشكره، لا ليخوض بها في أعراض الناس، ويستطيل بها على خلق الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿ وَبَجَعُلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (١) [الواقعة: ٨٢]

- وقيل للحسن: "يا أبا سعيد: من أشد الناس صراخاً يوم القيامة؟"، فقال: رجلٌ رُزِقَ نعمة، فاستعان بها على معصية الله"

بطاعته وتشكر بعض حقه

أنا لك رزقه لتقوم فيه

قويت على معاصيه برزقه

فلم تشكر نعمته ولكن

(حرمة أهل العلم: ص ١٢٣)

- وجاء في كتاب "الصمت لابن أبي الدنيا" (ص ١٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه رأى امرأة سليطة اللسان فقال: "لو كانت هذه خرساء؛ لكان خيراً لها"

(١) أي تضعون التكذيب بالقرآن مكان شكر هذه النعمة، كقول القائل: "جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، وجعلت إنعامي لديك أن اتخذتني عدواً"

(٥) الإكثار من ذكر الله

فقد أخرج الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"** (ضعفه البعض، وحسن إسناده عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله)

فإذا قسي القلب (وهو ملك الأعضاء)؛ فسدت الجوارح، فينطق اللسان بما لا يرضي الرحمن، وتتنظر العين إلى الحرام، وتسمع الأذن إلى الخنا والغناء، وتسعى القدم إلى ما فيه البوار، وتمتد اليد إلى الرشوة، والقتل، وكل ما يغضب الله، وهكذا في جميع الجوارح والأركان.

فالذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل، فمن عوّد لسانه ذكر الله؛ صانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله؛ ترطب بكل باطل، ولغو، وفحش.

فالحاصل أن كثرة الذكر يحيى القلب، وبحياة القلب تكون حياة الجوارح.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:

"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"

- وكان أبي هريرة رضي الله عنه يقول: **"القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك؛ طابت جنوده، وإذا خبث الملك؛ خبثت جنوده"**

- وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: **"كلُّ كلامٍ ليس بذكر الله فهو لغو، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة، وكل نظر ليس بعبارة فهو لهو، فطوبى لمن كان كلامه ذكراً، وسكوته تفكراً، ونظره عبارة"**

- ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد أخرج النسائي بسند صحيح من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: **"كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقلُّ اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصرُ الخطبة، ولا يأنفُ أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة"**

(صححه الألباني في "صحيح سنن النسائي": ١٣٤١)

- وقد أمرنا رب العالمين في كتابه الكريم بكثرة الذكر، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ**

ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]

- والذكر طمأنينة للقلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

- والذكر يغفر الله به الذنوب، ويعطي عليه الأجر العظيم، قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

- وبالجملة من أراد الفلاح؛ فعليه بالإكثار من الذكر

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

- وكان النبي ﷺ لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ففي "صحيح مسلم" من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه".

- ومما يدل على فضل الذكر، ما رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم؛ فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى"

- ولذلك كان النبي ﷺ دائماً ما يوصي بكثرة الذكر، ففي "سنن الترمذي" أيضاً من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه: "أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبّث به، قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله"

- والأحاديث في فضل الذكر كثيرة، والمقام لا يتسع لذكرها، وخلاصة الأمر أن من أراد النجاة من آفات اللسان، فعليه أن يداوم على ذكر الله، فإنه يرضي الرحمن، ويطرد الشيطان، ويزيل الهم، ويجلب الرزق، ويكسب المهابة والحلاوة، ويورث محبة الله، وهو حياة للقلب وروحه، ويجلي صداه، ويحطّ الخطايا، ويرفع الدرجات، ويحدث الأُنس، ويزيل الوحشة، وينجي صاحبه من النار، ويوجب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة، ويشغل عن الكلام الضار، وهو أيسر العبادات وأفضلها، وإنه غراس الجنّة، يوجب الأمان من نسيان الله الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، يذيب قسوة القلب، يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الدّائر، ومباهاة الله بالدّائر للملائكة... وغير ذلك من الفوائد والفضائل التي لا تحصى"

(انظر الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم)

(٦) التحلي بالحياء

- قال أبو حاتم بن حبان رحمته الله: "القحةُ (ترك الحياء) أصلُ الجهل وبذرُ الشرِّ، ومن لم يُنصفِ الناسَ منه حياؤه، لم ينصفه منهم قحته، وإذا لزم الوقحُ البذاء كان وجود الخير منه معدوماً، وتواتر الشر منه موجوداً؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، بقوته يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها، وقد أحسن من قال:

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

ثم نكر رحمته الله سوء عاقبة البذي فقال: "من ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أودي، ومن أودي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قلَّ حياؤه؛ صنع ما شاء، وقال ما أحب"

(روضة العقلاء بتصرف: ص ٥٦ - ٥٩)

(٧) التحلي بالسكينة

فلزوم السكينة من أنجح الوسائل لقطع كل ما هو قبيح من القول

يقول ابن القيم رحمته الله كما في "مدارج السالكين":

"السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا، والفحش، واللغو، والهجر، وكل باطل". اهـ

(٨) أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يكره لأخيه ما يكرهه لنفسه

فكما أنه لا يجب أن يذكره أحدٌ بسوء أو يقع فيه، سواء بسبب، أو لعن، أو غيبة، أو نميمة، أو سخرية، أو استهزاء... أو غير ذلك من ألوان الإيذاء؛ فعليه كذلك ألا يذكر أحداً بسوء.

- وقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَجَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ"

- وأخرج الإمام أحمد من حديث سويد بن حجير قال: حدثني خالي قال:

"لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عُرْفَةَ وَالْمَزْدَلِفَةَ، فَأَخَذَتْ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ، فَقُلْتُ: مَاذَا يَقْرِنُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُوجِزَتَ فِي الْمَسْأَلَةِ، لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَوَّلْتَ: أقم الصلاة المكتوبة، وأدِّ الزكاة المفروضة، وحج البيت، وما أحببت أن يفعله بك الناس فافعل بهم، وما تكره أن يأتي الناس إليك فدع الناس، خلِّ سبيل الناقة"

- وأوصى ابن عباس رضي الله عنهما بخمس كلمات فقال:

"إِيَّاكَ وَالْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنيكَ فِي غير موضعه، فُرْبَّ مَتَكَلَّمٍ فِي غير موضعه قد عنت، وَلَا تَمَارِ سَفِيهَاً وَلَا فُقِيهَاً، فَإِنَّ الْفُقِيهَ يَغْلِبُكَ، وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ، وَاذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تَحِبُّ أَنْ تَذْكُرَ بِهِ، وَدَعِ مَا تَحِبُّ أَنْ يَدْعَكَ مِنْهُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَجَازِي بِالْإِحْسَانِ وَيَكْفَأُ"

- وسمع الربيع بن خثيم رجلاً يلاحى رجلاً، فقال: "مه! لا تلفظ إلا بخير، ولا تقل لأخيك إلا ما

تحبُّ أن تسمعه من غيرك، فإن العبد مسئول عن لفظه، محصي عليه ذلك كله. ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾

[المجادلة: ٦]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، يقول الطبري رضي الله عنه في "تفسيره" (١١/١٣):

"أي: ولا يغتب بعضهم بعضاً أيها المؤمنون، ولا يطعن بعضهم على بعض، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا

أَنْفُسَكُمْ﴾ فجعل اللامز أخاه لامزاً نفسه؛ لأن المؤمنين كرجلٍ واحدٍ فيما يلزم بعضهم لبعض، في

تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير؛ ولذلك روي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"المؤمنون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر جسده بالحُمى والسَّهر"

(٩) التفكير في أسماء الله الحسنى

وبخاصة الأسماء التي تستوجب المراقبة والإحسان: كالشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ، **قال حاتم الأصم:** "تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذا ذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذا ذكر سمع الله منك، وإذا سكت فاذا علم الله فيك" (سير أعلام النبلاء: ٤٨٥/١١)

(١٠) المحافظة على الصلوات، والتشبث بالصدق:

• أما الصلاة فلقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]

- وقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ:

"إن فلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق!، فقال رسول الله ﷺ: سينهاه ما تقول - أو قال: ستمنعُه صلواته"

• وأما لزوم الصدق وتحرّيه مع تجنّب الكذب؛ فلأن الصدق خير عون على استقامة القلب والجوارح،

بدليل قوله ﷺ: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة..."

(رواه البخاري ومسلم)

- **وقال ابن شوذب: "سمعت يونس بن عبيد يقول:**

"خلصتان إذا صلحتا من العبد؛ صلح ما سواهما: صلواته، ولسانه"

(سير أعلام النبلاء: ٢٩٣/٦)

- **وعن مبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد قال:** "لا تجد من البر شيئاً واحداً يتبعه البر كله

غير اللسان، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام، ويفطر على الحرام، ويقوم الليل، ويشهد بالزور بالنهار،

وذكر أشياء نحو هذا "ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق، فيخالف ذلك عمله أبداً" (سير أعلام النبلاء: ٢٩١/٦)

يقول أبو العتاهية رضي الله عنه:

وتخلقن بأشرف العادات

تفنى وتورث دائم الحسرات

عبد الإله بأخلص النيات

فمن الضلال تفاوت الميقات

اسلك بني مناهج السادات

لا تلهينك عن معادك لذة

إن السعيد غداً زهيد قانع

أقم الصلاة لوقتها بشروطها

(١١) الوقوف على فوائد حفظ اللسان

فمن فوائد حفظ اللسان وقلة الكلام

١. دليل كمال الإيمان.
٢. السلامة من العطب في المال، والنفس، والعرض.
٣. دليل حسن الخلق، وطهارة النفس.
٤. يثمر محبة الله، ثم محبة الناس.
٥. يهيا المجتمع الصالح، والنشء الصالح على معالي الأمور.
٦. الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

(١٢) الدعاء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يُرْشِدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

فعلى الإنسان أن يتبرأ من حوله وقوته، وأن يلجا إلى الله تعالى، ويعتصم به، ويدعوه في وقت الإجابة، وفي الثلث الأخير من الليل، أن يقيه من شر لسانه.

- فقد أخرج الترمذي وأبو داود عن شَكل بن حميد رضي الله عنه قال

"أُتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ يا رسول الله، علّمني تَعَوُّدًا أَعُوذُ بِهِ، فأخذ بكفي، فقال: قل: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي، ومن شرِّ بصري، ومن شرِّ لساني، ومن شرِّ قلبي، ومن شرِّ مني"

(صححه الألباني في "صحيح الترمذي": ٢٧٧٥)

- ودائماً يسأل الله تعالى الجنة، وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ويستعيز بالله من النار، وما قرَّب إليها من قول أو عمل.

- وكان عبد الله بن الخيار يقول في مجلسه: "اللهم سلّمنا، وسلّم المؤمنين منا"

(تذكرة الحافظ: ١/١٣٩)

(١٣) كثرة ذكر الموت

وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: "عظني"، فقال: "اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فجداً فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك، فدعه الآن" اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي وغدا تموت وترفع الأقدام

وقال أبو حازم سلمة بن دينار: "كلُّ عملٍ تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى متَّ"

- وقد ربط رسول الله ﷺ بين "ذكر الموت" وبين "حفظ اللسان" كما في قوله ﷺ لمن جاءه فقال: "عظني وأوجز، فقال: "إذا قمتَ في صلاتك، فصلِّ صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غداً" الحديث (رواه الإمام أحمد وابن ماجه وهو في الصحيحة: ٤٠١)

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من استحيا من الله حق الحياء؛ فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى" (صحيح الجامع: ٩٣٥)

- واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال: "أذكر القطن إذا وُضعَ على عينيك"

(١٤) تذكر أحوال الآخرة

فكلُّ إنسانٍ ممَّا إذا استحضر أحوال الآخرة، وعلم يقيناً أنه سيقف بين يدي الله تعالى، يسأله عن أقواله وأفعاله صغيرها وكبيرها، وأن هذه الجوارح، ومنها اللسان ستشهد عليه يوم القيامة، فمن استحضر هنا، لم يفعل فعلاً أو يقل قولاً إلا ويحسب له ألف حساب.

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ السَّيِّئَاتُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]

وصدق القائل حيث قال:

العمرُ ينقص والذنوب تزيد
هل يستطيع جحود ذنب واحد
وتقال عشرات الفتى فيعود
رجل جوارحه عليه شهود

وقال آخر:

فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى
أفق قد دنا الموت الذي ليس بعده
وتشهد أعضاء المسيء بما جنى
صريع الأمانى عما قليل ستندم
سوى جنة أو حر نار تضرم
كذلك على فيه المهيمن يختم

- وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

"اجتمع عند البيت قرشيان، وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول، قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا؛ فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٢٢] ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣]

- وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [١٤] ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [١٥] ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦] ﴿الْيَوْمَ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [١٧] ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [١٨] ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [١٩] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٤ - ٢٠]

وختاماً

يقول الغزالي رحمه الله في كتابه "الإحياء" (٣/٢١٧):

"من تأمل جميع ما أوردنا من آفات اللسان؛ علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: "من صمت نجا" (رواه الترمذي)؛ لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافق لسان فصيح، وعلم غزير، وورع حافظ، ومراقبة لازمة، ويقال من الكلام فعساه يسلم عن ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم، فكن ممن سكت فسلم، فالسلامة إحدى الغنيمتين". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله ﷺ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان خطأ فاستغفر لي
وإن وجدت العيب فسد الخلا
جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك